

أنت موسيقاي أو هذا البياض المحنّك

رواية

◆ د. عمار أحمد / الموصى

يكاد يكون مسدوداً بوجه طفولتي المزركشة بالحلويات، المفخخة بالتهيؤات الأسطورية، باب لكتش. ولن أعود إليه مؤنقاً بصحبة إله (العسل).. (عسل) ي التي تعرفون، أنتاي التي تكاد تشبهها موسيقا النبوغ. لكنني ساطرق بالكف المعدني المقلوب على شارة قدم الباب الصدئة على صدره، لأرتب الهدوء المترబ المنسني في أيامي، والمرات التي يؤدي إليها بفوضى شبابي هذا. وألوح لأسراب الأيام العالقة بأسلاك الغياب الشائكة، وتلك المتعثرة بخنادق الإياب الشقية، الشفمية، الأيام التي تلطخ تاريخها بجرائم رفض الحرب، واقتحامها حقول صمت الألغام وحرمانها ديمومة نعمتي الهدوء والاختفاء. سألوح لها بحب نصف بريء وأدعوها للملجم جراح الشمل.

أنا .. هو الذي كاد يرشق أمانيه .. نفسه، سميَّ لعله بما لا يعجب واقفين في طريق يمر - مر من تحتهم لأنهم أثروا الوقوف وراح يبحث عن ماشين ليقف . ويبحهم من واقفين، ويلا له من طريق - ولست ذكيَا بما يكفي ولكن الريح تشبهني، لهذا سأظل شاسعاً ومسدوداً معاً، شاسعاً لاستطيع الإحاطة بضمومي وخساراتي المؤئنة والتتماعي وموسيقاي وبريق عينيها.. آآآه ومساحة تحركي الغيمية ، ومسدوداً بوجه الطالب الكسول ، حفاظ العناوين ، العاطل عن الأسطورة ونشاطات أخرى السارق ، الكتاب ، الخاملي في زمن الركض ، أشياهه ، وأسانذته (بكل تأكيد) وتابعيه ، ونماذجه العليا جمياً ، أولئك الذين لا فرق بينهم وبين المكاففين بحراسة باب الجامعة بعد إلقاء المحاضرات ، وحراسة بوابات المدن أو نساء سوائل البيوتات . أولئك .. نعم .. الذين وفرت لهم مهنة الحماية مناخاً نادراً للسرقة، وتعطيل مرور الخارجين / أنا الخارج دائمًا يا داخلون لتسنقرموا / مع أني لست منتفقاً مثل كبريات شعاع منفلت من سماء الغيم تماماً .. أحياناً فأننا معروف هنا في هذه المدينة، بإن أفكاري حدباء مثل أحد أسمائها، وأني حريص جداً على استقامة آثماني، وأعوجاج طرائقني في بلوعي سدة الكلام. فلا حرج عندي ولا ملام. سمعت البارحة أن تصوّصاً حاولوا سرقة صندوق وضعه مالكه خلف الباب ليعرقل فتحه، بعد أن عزز استحكام الدار، وكان مطمئناً تماماً لمنعة الباب وركينه فنفس اللصوص الدار كلها ليصلوا إليه. ظل الباب واقفاً مع الركينين والقوس الرابط فقط. كان باباً منيعاً حقاً، وغابت الدار كلها في حديقة الركام / أورد هذا المقطع من أجل تلطيف الجو.

لست قوياً بما يكفي، ومع هذا سأضرب بالكف المعدني شارة باب الحكمه أيضاً، لافتتاح رأسها ، وأكاسر الحكماء والبلغاء المخلفين بubar المتأحف والسنين المتراءكة كلها .. كلها . فالمجد للألة في السماء المذبوبة بشخير الطائرات، والنصر للغة القوة - في الأرض- على قوة اللغة يا حشود الذين يستعدون

الأطفال المحمول على الضجيج يدفعني إلى زجرهم
قاطعاً خلوتي في هذه الغرفة المخنوقة بتدخياني،
المحقونة بتدرجيني المهارة على اقتناص التافه
وتكريمهـ الذي يعني تكريمي مع الأسفـ وشكراً
للانزاعـ فضيق ملعب الأطفال الطولي الذي
وسع ضيقـ وانحناءاته يذكرني بممرات أيامـ
المحتمية من أسراب الشظاياـ وجدتـ تقتحد فراغـ
عقبة البابـ لأنها ماتت مثل زوجهاـ ولكن تخويفهاـ
إيابـ بحرمانـ من رؤيةـ شيخـ الشطـ ما زالـ حياـ.
كنتـ أجلبـ لهاـ (كيسـ استراحةـ التبغـ) وـ (طاسةـ
ماءـ الحبـ، أوـ طاسةـ حبـ الماءـ) وأـزخرـ لهاـ عزـلتـهاـ
بـماـ أـلـغـ وأـرـسـلـ لهاـ بالـلوـاـنـ ماـ أـتـحـيلـ لـوـحـاتـ
تحـبـهاـ، وأـخـلـقـ لهاـ أـسـاطـيرـ طـرـيـةـ مـثـلـ لـغـتـيـ فـنـفـرـشـ
بـدورـهاـ طـرـيـقـيـ إـلـىـ النـوـمـ بـالـقـبـلـاتـ وـالـأـمـانـ وـتـعـدـنـيـ
بـاخـذـيـ إـلـىـ شـيـخـ الشـطـ كـلـ يـوـمـ إـعـطـائـيـ آخرـ بـنـاتـهـ
وـأـصـغـرـهـنـ وـأـجـملـهـنـ، بـنـاتـهـ الـلـاتـيـ أـعـطـيـ تـسـعـاـ
مـنـهـنـ لـقـادـةـ حـرـسـ أـبـوـابـ المـوـصـلـ وـتـرـكـ العـاـشـرـةـ
لـيـ، كـنـتـ أـنـصـتـ لـتـخـوـيفـهاـ وـأـقـلـقـ.. وـالـآنـ أـتـذـكـرـهـ
وـأـغـرـقـ.. فـيـمـاـ صـارـ سـعـادـةـ غـائـبـةـ مـثـلـ غـيـابـ
كـتـمـانـهـاـ الصـحـكـ الحـنـونـ وـإـعـلـانـهـاـ القـبـلـ، كـنـتـ
أـفـهـمـ لـ(ـمـامـاـ أـوـمـ)ـ تـلـكـ الـتـيـ خـشـيتـ عـلـيـ مـنـ
(ـالـجـوـائـحـ)ـ أـفـيـ وـقـتـ مـبـكـرـ. هـيـ تـلـكـ التـجـاعـيدـ
الـجـمـيلـةـ جـداـ، مـاـ كـنـتـ أـعـلـمـ أـنـ بـابـ لـكـشـ سـيـؤـديـ
إـلـىـ (ـبـابـ نـرـكـالـ)ـ بـعـدـ سـنـينـ بـطـرـيـقـ يـنـاورـ بـوـاـبـةـ
الـمـوـتـ، وـتـلـ الحـبـ الـمـنـيـشـ بـالـبـيـونـ وـالـطـرـقـ التـنـيـفـةـ
الـتـيـ نـحـتـهـاـ الـعـشـاقـ عـلـىـ مـدىـ أـلـافـ السـنـينـ، تـلـكـ
الـمـسـارـاتـ الـمـعـبـةـ بـأـحـادـيـثـ خـاصـةـ جـداـ تـعـالـجـهاـ
الـفـتـيـاتـ الـمـتـمـنـعـاتـ بـبـاتـسـامـةـ خـجـولـةـ بـوـجـوهـ
الـبـيـونـاتـ. يـعـالـجـنـهاـ وـهـنـ مـسـتـقـرـاتـ سـمـاعـاـ
مـلـهـوـفـاـ وـمـلـفـوـفـاـ بـاـدـبـهـنـ المـثـيرـ. صـرـاعـ أـزـلـيـ بـيـنـ
الـطـينـ وـالـجـبـ منـ جـهـةـ، وـمـسـارـاتـ الحـبـ التـنـيـفـةـ
تـلـكـ منـ جـهـةـ أـخـرـيـ. وـإـذـاـ مـاـ دـخـلـتـ الحـرـبـ طـرـفـاـ
ضـدـهـ، كـانـتـ الـغـلـبةـ لـهـاـ فـضـلـاـ عـلـىـ المـدـاهـمـاتـ وـ
(ـكـبـسـاتـ)ـ الـإـرـهـابـيـةـ ضـدـ الـمـو~اطـنـيـنـ الـأـشـو~رـيـيـنـ،
وـكـانـتـ تـسـحـقـ كـلـ شـيـءـ، لـهـذاـ كـانـ الـأـشـو~رـيـو~نـ
يـخـبـئـونـ أـطـفالـهـمـ وـأـحـلـامـهـمـ فـيـ تـجـاوـيفـ سـرـيـةـ
يـبـنـونـهـاـ مـنـ فـرـاغـ الـقـطـعـ الـمـرـمـيـةـ الـتـيـ يـبـنـونـ مـنـهـاـ /ـ
بـهـاـ بـيـتـهـمـ لـتـحـمـيـهـمـ مـنـ فـيـضـانـ دـجـلـةـ وـفـيـوضـ
الـغـرـاءـ مـنـ الـخـارـجـ وـالـدـاخـلـ /ـ طـرـازـ تـوارـثـهـ سـكـانـ
نـيـنـوـيـ عـلـىـ مـرـعـصـورـ لـلـأـسـبـابـ ذـاتـهـاـ /ـ وـمـنـهـ

للقدوم إلى الماضي القريب / والعجائز ما زلنـ
يرتقـنـ مـاـ تـشـقـقـ مـنـ طـفـولـاتـناـ وـ(ـأـيـامـاتـناـ)ـ الـلامـعةـ
بـالـشـبـابـ وـالـجـرـوحـ، وـمـاـ زـلـ يـدـرـأـنـ عـنـ الشـخـطاـيـاـ
وـالـخـطاـيـاـ بـتـمـتـمـاتـ وـنـفـخـ دـاثـريـ .ـ يـاـ أـمـهـاتـناـ الـلـاتـيـ
يـطـبـخـ لـنـاـ كـلـ يـوـمـ أـكـلـاـ وـكـلـ سـنـةـ أـخـاـ وـكـلـ عـقـدـ
قـتـيـلاـ .ـ كـلـ مـنـكـ عـلـىـ حـدـ طـبـعاـ .ـ يـاـ انـكـسـارـاتـناـ
وـحـسـرـاتـناـ وـنـحـنـ نـرـىـ فـرـحـ الطـحـالـ بـيـنـتـشـرـ عـلـىـ
أـعـمـارـناـ الـتـيـ تـجـريـ حـافـيـةـ فـيـ مـضـامـيـنـ الشـمـسـ،ـ
وـيـنـتـشـرـ الـفـرـحـ ذـاكـ،ـ هـذـاـ الصـمـتـ بـيـنـتـماـ تـسـيـحـ لـغـتهـ
،ـ وـيـسـوـدـ فـيـ حـلـوقـنـاـ الـكـلـامـ /ـ مـاـ زـالـتـ أـبـنـةـ
الـجـيـرـانـ صـغـيـرـةـ جـداـ مـعـ أـنـ القـصـفـ تـوـقـفـ مـنـ
عـشـرـيـنـ عـاـمـاـ .ـ كـانـ عـمـرـهـاـ أـرـبـعـ سـنـوـاتـ فـقـصـفـ
الـصـارـوخـ طـرـيـقـهاـ إـلـىـ الـبـيـتـ وـالـبـلـوغـ،ـ وـظـلـتـ هـنـاـ
عـنـ عـاـمـ .ـ 1982ـ رـأـيـتـهـاـ فـيـ 2003ـ مـثـلاـ،ـ جـاءـتـ
صـغـيـرـةـ وـمـجـعـدـةـ مـنـ طـوـلـ اـنـتـظـارـهـاـ أـبـاـهـاـ الـذـيـ قـدـ
يـفـلـتـ مـنـ قـبـضـةـ الـفـقـدـ.ـ لـكـنـ القـصـفـ لـعـبـ مـعـ
دـوـرـاـ مـعـاـكـسـاـ،ـ لـأـنـهـ قـفـزـ بـيـ إـلـىـ عـاـمـ 2004ـ مـثـلاـ،ـ
فـكـانـ مـسـارـهـ اـخـتـصـارـاـ لـلـطـرـيقـ إـلـىـ الـكـهـولةـ.
(ـإـيـيـيـهـ مـاـذـاـ كـلـمـاـ أـوـقـدـنـاـ فـرـحـاـ أـطـفـاـلـهـ الـأـخـطـاءـ
الـمـلـسـاءـ)ـ .ـ

بـابـ لـكـشـ أـيـضاـ يـلـعـبـ دـورـاـ مـعـاـكـسـاـ .ـ هـكـذاـ
أـرـيدـ أـنـ أـتـخـيـلـهـ أـنـاـ .ـ أـحـيـاـنـاـ يـنـغلـقـ بـوـجـهـ طـفـولـتـيـ
وـيـنـغلـقـ عـلـىـ طـفـولـتـهـ بـخـرـيفـهـ الـرـابـعـ /ـ وـجـدـيـ مـاـ
زـالـ يـسـيـرـ فـيـ تـلـكـ (ـالـعـوـجـاتـ)ـ باـسـتـقـاماـتـ مـدـعـومـةـ
بـالـصـلـالـةـ وـالـصـومـ وـعـدـمـ الـاـخـتـلـافـ مـعـ السـلاـطـينـ..ـ
مـاـ كـانـ يـعـلـمـ .ـ وـلـنـ يـعـلـمـ لـأـنـهـ مـاتـ .ـ أـنـ تـكـافـتـ
الـبـيـوـتـ وـتـرـاـصـهـاـ،ـ وـتـحـدـبـ الـعـوـجـاتـ وـالـتـوـاءـهـاـ
كـانـتـ بـسـبـبـ الـخـوفـ وـالـبـرـدـ.ـ وـأـنـ ضـيقـهـاـ هوـ ضـيقـ
الـحـالـ /ـ يـاـ جـدـيـ /ـ وـانـ لـلـسـلـطـانـ صـالـاتـ فـارـهـةـ
مـؤـثـثـةـ بـالـسـعـادـةـ كـلـهـاـ،ـ سـعـادـةـ مـنـاخـهـاـ بـرـدـ نـاعـمـ
وـدـفـ،ـ وـدـفـ يـلـعـلـعـ كـلـمـاـ اـهـتـزـ رـدـ،ـ وـطـرـقـاـ وـاسـعـةـ
مـبـعـثـهـاـ الـأـمـانـ ..ـ إـلـيـهـ،ـ وـأـنـ دـمـهـ أـحـمـرـ ..ـ وـالـلـهـ يـاـ
جـدـيـ...ـ إـنـ دـمـ السـلـطـانـ أـحـمـرـ مـثـلـ جـرـيـانـ أـيـامـيـ.
هـاـ أـنـاـ أـتـحـرـكـ بـقـوـةـ أـرـبـعـينـ عـاـمـاـ لـأـصـلـ إـلـىـ
نـهـارـ قـبـلـ حـلـولـ الـظـلـامـ،ـ سـأـصـلـهـ وـإـنـ كـلـفـيـ الـأـمـرـ
أـنـ أـطـوـرـ مـقـرـرـتـيـ فـيـ الـحـرـكـةـ إـلـىـ طـاـقـةـ (ـ60ـ عـاـمـ).ـ
عـنـدـهـاـ سـاـمـنـعـ الـأـمـهـاتـ مـنـ خـدـمـةـ الـمـذـابـحـ /ـ الـخـدـمـةـ
فـيـ الـمـذـابـحـ،ـ وـأـدـنـنـ عـلـىـ شـعـاعـ عـاطـرـ فـرـحـيـ بـمـاـ أـلـ
إـلـيـهـ الـحـالـ،ـ وـأـمـسـخـ مـنـ قـامـوسـيـ الـ(ـرـبـمـاتـ)ـ وـالـ
(ـلـعـلـاتـ)ـ وـأـنـحـتـ مـنـ غـيـمةـ حـلـماـ يـؤـرـخـ،ـ وـلـنـ لـعـبـ

أنت موسيقاي.....

وردات يقفن على بوابات أنواثهن يفشل حياؤهن
بكبح رغبات زوايا عيونهن بالاطمئنان على إعجاب
قد يلمع.

على التل وردات وموسيقا تسing بعذوبة، وفي
القلب أنتى، تلك التي نسيت صورتها وعدت ناسياً
اسمي ودمي في الباص الذاهب إلى ساحة
المهاجرين قادماً من سقف السيل. وجنتها كما هي
مبتسمة، وسود عينيها المتفائل يحبس آخر الكلام
المؤنث بالبكاء، وكانها تكتب تواً على ظهر الصورة.
إياك ونسيان (عس) لك. أي مرارة؟! انشغالى
بك إنساني غربتي هذه / هكذا بترت عثرتى وبررت
بحبى. وحين عدت، رأيت باب لكتش، وتل الحب،
والأبواب الأخرى التي تؤدي إلى الموصى قلب
نينوى الأبيض المشطوب بماء، صافنین، لأن المدينة
صارت ذهولاً محمولاً على أعمدة الدخان التي ما
تفتتا تتفلطح في نهايات وكانها تلامس حداً فاصلةً
يوقف امتدادها إلى أعلى ويبعثرها مفسحاً المجال
لضوء نثارب الشمس. ليس له الآن سوى رغبته في
الاستمرار على هذا النحو من التعب البهيج. عليه
أن يحافظ على هذه العزلة؛ لأن ثمة أطفالاً دائمًا
يلعبون بكل شيء، ليس بأعصابه حسب، ولأن
التجاعيد الجميلة تستقطب (القشابات) الالاتي
يسألن الله حسن تاجيل الختام في نهاية كل
زيارة؛ لأنهن يسبقن - في الحقيقة - كل دعاء
بطول الععن، ولأن عوجة الشيخ (أبو العلا) ممر
حيوي في باب لكتش الذي ينفتح على المؤوثة
القديمة والجديدة .. ولا ينفتح على طفولته المؤوثة
بالأمان وغياب فكرة الموت .. إيهيبية كانت موسيقا
تشبه حبيبته التي ستاتي - طبعاً - (عسل)،
والاختلاف بالمقام وتدرج البياض ..
... كنتـه إلى الأبد.

2003

من نحت الشيران المجنحة على جدران بيته من
الداخل متعمداً من شرور القدر والقادرين من
البشر في ظاهر الأمر، ومحصناً أمواله أو الواحه
في بطن الشور، لذا كان يوصي النحات بتحت
بطن كبير لثور البيت، ويخفى عليه هدفه من هذا
الطلب متحججاً بملء التجويف بأكبر عدد ممكن
من تعاويد الكهنة - والنحاتون المعتمدون كانوا
خطرين يا جماعة!!! - التي ستحمي الملك والملكة
وتدفع الملوكين إلى قتال يوفر أماناً عظيماً يديم
لذائذ الملك العلنية، ولذائذ الكهنة السرية، ويؤمن
اتصالاً سهلاً بالسماء / مصرة على الحياة طرق
العاشقين المنيسمة تلك، يدحرها الشقاء
والمحاربون راحلين (معربين)، ويخلّي عنها
صناعها بانشغالهم بخنزير الأمان، وأمن الخبر
أحياناً كثيرة من تلك القرون ، وينتهرها الربيع
خطوطاً في خضرته ، منسقاً الشائق، ومبعثراً
لطافة البيرون عطرًا يتراصف ويبتسم على طولها
، ويستقيم باستقامتها ، وينحرف باصرافها ، ولا
ينحنى / التراصف / والتبعثر إلا لتلك النسائم
التي تجبر الدهشة على الابتسم / يفتح باب
نركال طريقاً واسعاً ويرؤي ديان إلى فضاء بطاقيين
الأول أخضر يرصعه التراصف والتبعثر بالوان
تنشد ، والثاني أزرق تفتح عابرات السبيل من
قطعقطن الدائب فجوات في زرقتنه ومجالاً
لأسئلة ومجاهيل . تل الحب الآن يعلن الأكلات
ومرح الأطفال، ويكتتم بأمان وشروع مذهلين على
بقاء عظام محاربين، وبقايا ملوك عظام، وأختاماً
وسيوفاً وأمنيات تورمت حزناً على عدم اكتمالها
بسبيب تلك الحروب / قد يكون سبب تحديبه ورمها
/ وأرى الآن نساء يفضم بجحيم بغض وموسيقا
أراها بعيني تتآلف وتتألف على سفحية، وأرى

❖ الاشراك والقراء: قد لا يختلفون الا في المؤس الباليولوجي.

❖ الحرية عند القدماء: هي الفساد. اليوم هي جوهر الانسانية.

❖ التلقين: تربية الحيوان في الانسان.

السعادة .. ادريس طه حسن